مجلة البحث العلمي الإسلامي

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة العشرون – العدد 62 – 30-10-2024م

Volume 20th - issue no. 62 - 30/10/2024

الصفحات: 241 - 274 Pages: 241 - 274

الوحدة الإسلامية

بين النظرية والتطبيق

Islamic unity
Between Theory and Practice

أ.د. خالد مصطفى مرعب

Prof. Dr Khaled Mustafa Merheb

Email: Dr_merheb@hotmail.com

اعتمادات

أ. د. خالد مصطفى مرعب

Prof. Dr Khaled Mustafa Merheb

E-mail: Dr_merheb@hotmail.com

الـوحـــدة الإســلامـيـة
بين النظرية والتطبيق

Islamic Unity
between Theory and practice

ملخص

يتجـه العالـم المعاصر إلى المزيد من بنــاء التكتلات والاتحادات في سبيـل تأمين عناصر القـوة والغلبة التي توفرها هـذه التحالفات والاتحادات. حتى أن أمماً تفتقر إلى العديد من عوامل الوحـدة أوجدت لنفسهـا قواسم مشتركة لتكوّن روابط وحدويـة ومصالح مشتركة متجاوزة بذلك عقبات كأداء. في حين ما زال المسلمون يعانون من الانقسامات والفرقة والتشرذم إلى حد التنازع والصراع. ثم إن الهوية الإسلامية تكاد تتلاشى أمام عوامل الانتماء المحلي الشعوبي المكاني إلى درجـة بـات الإسلام مجرداً من حضوره الفاعل في حياة المسلمين إلا من مظاهر وقشور لا تسمن ولا تغنـي مـن جوع. لذلك كان لا بد من إعادة طرح هذا الموضـوع وإثارته باعتباره قضية مركزية لهـا طابع مصيري بالنسبة للشعـوب الإسلامية وهم يعيشون حالة تجاهل لكونهم أمة واحدة، مما قد ينهي دورهم الهام في البناء الحضاري الإنساني.

ومن أجل ذلك كان لا بد من التعريف بالوحدة اصطلاحاً ومفهوماً. ثم معالجة أبعاد مفهوم الأخـوة الإسلامية شرعياً واجتماعياً. ثـم العمل على تقديم أدلة على قيام الوحدة الإسلامية عبر العصـور. مـع استعراض موجبات هذه الوحـدة الإسلامية. كما لا بد من معالجـة أسباب وعوامل الفرقـة والتشـرذم في الأمة الإسلاميـة. ومن ثم مراجعـة طروحات ومشاريع التعـاون والتنسيق الإسلامي. إلى إبراز عقدة البحث ومشكلته الأساسية المتمثلة بالحلم المستحيل في إقامة الوحدة الإسلاميـة تبعاً لما تعيشه الأمـة الإسلامية اليوم من حالة ضياع وفوضـى وإنكار. على أن الآمال مـا زالت معلقة على وجـود إمكانيات وعوامل قد تساعد على إعـادة الاعتبار للأمة الإسلامية من خلال استعصاء هذه الأمة واستحالة إزالتها والقضاء عليها. ومن خلال التمسك العميق للمسلمين

بدينهم وقيمهم ومبادئهم. لذلك فالإبقاء على إثارة موضوع الوحدة الإسلامية وطرحه كحل للكثير من الصعوبات والمشاكل التي يعيشها العالم الإسلامي، وأيضاً لأهمية ذلك بالنسبة للعالم أجمع في ظل التدهور الخطير الذي تعيشه الحضارة الغربية المعولمة المسيطرة على العالم المعاصر، مما ينذر بالمصير الأسود الذي ينتظر البشرية في حال لم يتح للأمة الإسلامية السبيل لاستعادة وحدتها وطرح رؤيتها الحضارية الإسلامية المنقذة.

الكلمات المفتاحية:

- الوحدة - الأمة - العالم الإسلامي
- الغزو - التشرذم - التعاون

Abstract

The contemporary world is moving towards building more blocs and unions in order to secure the elements of power and dominance that these alliances and unions provide. Even nations that lack many factors of unity have created for themselves common denominators to form unitary bonds and common interests, thus overcoming insurmountable obstacles. Meanwhile, Muslims are still suffering from divisions, division, and fragmentation to the point of conflict and conflict. Then, Islamic identity almost disappears in the face of the factors of local, populist, and spatial affiliation, to the point that Islam has become devoid of its effective presence in the lives of Muslims, except for manifestations and husks that do not fatten or suffice. Therefore, it was necessary to re-present this issue and raise it as a central issue that has a fateful nature for the Islamic peoples as they live in a state of neglect for being one nation, which may end their important role in building human civilization.

For this reason, it was necessary to define unity in terms and concepts. Then address the dimensions of the concept of Islamic brotherhood, legally and socially. Then work to provide evidence of the establishment of Islamic unity throughout the ages. With a review of the reasons for this Islamic unity. It is also necessary to address the causes and factors of division and fragmentation in the Islamic nation. Then review the proposals and projects of Islamic cooperation and coordination. To highlight the complexity of the research and its basic problem represented by the impossible dream of establishing Islamic unity in light of the state of loss, chaos and denial that the Islamic nation is experiencing today. However, hopes are still pinned on the existence of possibilities and factors that may help restore the reputation of the Islamic nation despite the intractability of this nation and the impossibility

of removing and eliminating it. Through the deep adherence of Muslims to their religion, values and principles. Therefore, continuing to raise the issue of Islamic unity and presenting it as a solution to many of the difficulties and problems that the Islamic world is experiencing, and also because of the importance of this for the entire world in light of the serious deterioration experienced by the globalized Western civilization that dominates the contemporary world, which portends the dark fate that awaits humanity if the nation is not provided with Islam is the way to restore its unity and present its saving Islamic civilizational vision.

Key Words:

- Unit - Nation - Islamic World
- Invasion - Fragmentation - Cooperation

المقدمة

الاتحاد الأوروبي (يضم أكثر من ثمانية وعشرين دولة من أعراق ولغات مختلفة)،

الاتحاد الروسي (روسيا الاتحادية تضم خمسة وثمانين كياناً)،

الولايات المتحدة الأميركية (تضم ست وخمسين ولاية ذات حكومات محلية) ...الخ.

هـي نماذج متعددة مـن العمل الوحدوي التعاوني الذي يمكن أن يقـوم بين الشعوب والفئات والتجمعـات البشرية.. حتـى وبين الكيانات والدول المحلية. ذلـك لأن العمل التعاوني والتجمعات والتكتـلات تعطي الأمم قوة ومتانة ومناعة، خصوصاً في عصـر العولمة والانفتاح والقوى العابرة للحـدود والسدود والمواقع والقارات. وتبدو هذه الأنواع من العمل المشترك بين الشعوب متناسبة مـع مرحلـة تفشـي القومية وبـروز الكيانات العنصريـة والوطنية، تلـك التي ظهرت بعيـد إنهيار الإمبراطوريـات الكبـرى التـي هيمنت على العالـم قبيل الحـرب العالمية الأولـى: الإمبراطورية الروسيـة والإمبراطورية النمساويـة، والإمبراطورية الفرنسية، والإمبراطوريـة العثمانية... لكن الكيانـات الصغيرة والأوطان الضعيفة وجدت نفسهـا مهددة من الدول العظمى، فكانت الأحلاف والاستقطابـات التـي تضمن حشداً من التجمعـات والكيانات تتآلف بينها بصيـغ متناسبة لتشكل قـوة تحافظ علـى وجودها وحدودها وحضارتهـا. ثم إن هذه الاتحادات وجـدت لنفسها مكاناً في هـذا العالم وتـم تصنيفها حسب قوتها وحضورهـا الدولي. فتربعت الولايـات المتحدة الأميركية على رأس القوى العظمى متحالفة مع الاتحاد الأوروبي. ثم تلاها الاتحاد الروسي... وكانت الدول الصغيرة والضعيفة التي سميت بالعالم الثالث قد سعت لتشكيل كيان لها محايداً في فترة الحرب البـاردة بين الولايات المتحدة الأميركية وحلف شمال الأطلسي من جهة، وبين الاتحاد السوفييتي وحلـف وارسـو من جهة أخـرى. وذلك تحت اسم دول (عـدم الانحياز) تصدرتـه الصين والهند

ومصر ويوغوسلافيا وبعض البلدان الأخرى. وقد حاولت بعض الشعوب والدول التعاون فيما بينها بصيـغ مختلفة، ذلك أن حاجة التعاون والتنسيق باتت أكثر من ضرورية. وكرت سبحة التشكيلات الدولية الإقليمية فظهرت الجامعة العربية والاتحاد الإفريقي واتحاد دول أميركا الجنوبية ومجلس التعـاون الخليجي...إلخ. كذلك ظهرت منظمة المؤتمر الإسلامـي التي تضم عشرات الدول ذات الغالبيـة الإسلاميـة. هـذه المنظمة التـي حاولت تأطيـر نشاطها فـي الجانب الثقافـي الفكري والاجتماعي للشعوب الإسلامية بالاستناد إلى دينهم، سرعان ما تبين أن دورها محدود وشعاراتها فضفاضـة في ظل الواقع التقسيمي الذي تعيشه الدول الإسلاميـة، إذ بات الدين محدود التأثير، مهـدور الطاقـة بل ويعيش أزمة غربة وإنـكار في معظم البلدان الإسلاميـة. ومنذ انهيار الخلافة الإسلاميـة العثمانيـة، ضاعت بوصلـة المسلمين، وانخرطـوا في حالة تيه زجت بهـم في مؤخرة الأمـم، وباتوا عرضـة للتجاذب والتقاسم بين الـدول الكبرى. وهكذا ارتمـى بعضهم في أحضان المعسكـر الشيوعي بشعـارات ثورية دموية، والتحـق البعض الآخر بالمعسكـر الغربي الرأسمالي التيو- ديمقراطي. وشيئاً فشيئاً فقدت المظلة الإسلامية رونقها وقدرتها على إنتاج روابط معنوية تستند إلى الرؤية الإسلامية لمفهوم الأخوة.

أهمية البحث

تتمحـور أهمية البحث في تسليـط الضوء على واقع مرير تعيشه الشعـوب الإسلامية بسبب غيـاب فكرة وحدة الأمة الإسلاميـة إلى درجة اعتبارها من المستحيـلات أو من أساطير الأولين التـي عفا عنهـا الزمان. بل إن مجرد طـرح قضية الوحدة الإسلامية وإمكانيـات عودة المسلمين إلـى ترابطهـم الأصولي يعتبر ضرباً مـن الخيال ولا مجال للعودة إلـى أي صيغة من صيغ الوحدة الإسلاميـة. لذلك فإن معالجـة هذا الموضوع يعيد الإعتبار لقضية الوحـدة الإسلامية باعتبارها قاعـدة أصولية ملزمة للمسلمين فـي وجوب السعي إلى التلاقي والتوحد على الله في سبيل تطبيق شرعه والالتزام بأمره حتى يسود الإسلام العالم وبذلك يعمه السلام والأمن والأمان والاستقرار. فالوحـدة الإسلامية هنـا ليست مجرد طروحات فكرية نظرية وإنما هـي فعل إيمان واقعي عاشته الأمـة الإسلاميـة قرونـاً عديـدة وفرض نفسه علـى أمم الأرض كصبغة مميـزة لجماعة بشرية واحـدة لها كيانها الخاص، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً بالإجمال عرفت بأمة الإسلام، أو العالم الإسلامي. من هنا تبدو أهمية القضايا التي سيطرحها هذا البحث.

أسباب اختيار البحث

لا يخفـى علـى أحد سوء الحـال الذي تعيشـه بلاد المسلميـن وحجم التآمـر والحقد الذي تتعرض له الشعوب الإسلامية، من خلال بث الأحقاد ونشر النزاعات بين المسلمين شعوباً ودولاً. فيمـا يجـري العمل على تكريـس عوامل التفرقة وافتعـال الأزمات على خلفيـات عنصرية وقومية ومذهبية...إلـخ. حتـى غابـت عن الأذهـان صبغـة الله التي صبغ الأمـة الإسلاميـة عليها، وهي

الاعتصام بحبله والتآخي والتآزر وعدم التفرق، لأن الأمة الإسلامية تشكل جسداً واحداً متماسكاً يعضد بعضه بعضاً. لكن الناظر إلى واقع المسلمين يرى كيف أن الهوية الإسلامية باتت من الماضي وهي مجرد تاريخ مندثر. وإن الإنتماء الإسلامي مجرد تعبير رمزي لا يستوجب أي التزام عملي أو أي ارتباط عضوي. من هنا كان لا بد من معالجة خطورة التمادي في إنكار ضرورة الوحدة الإسلامية وأهميتها القصوى ليس فقط للمسلمين. بل للعالم أجمع باعتبار أن هذه الأمة حين تتوحد ستعيد الحياة للحضارة الإسلامية المعوّل عليها لتصحيح مسار البشرية المتجه إلى الانهيار والفناء.

الإشكالية

تكمن إشكالية هذا الموضوع في طرح التساؤلات التالية:

١. هل هناك أمة إسلامية؟

٢. هل توحدت هذه الأمة الإسلامية فيما مضى؟

٣. هل الوحدة الإسلامية واجبة شرعاً؟

٤. ما هي مظاهر هذه الوحدة الإسلامية؟

٥. هل هناك إمكانية لإقامة الوحدة الإسلامية في هذا الزمن؟

٦. ما هي المعوقات والصعوبات التي تعترض قيام هذه الأمة؟

الفرضيات

يفترض هذا البحث ويتوخى الوصول إلى النتائج المتوقعة التالية:

١. الأمة الإسلامية حقيقة واقعة فكرياً وعملياً.

٢. هناك حضور دائم عبر التاريخ للأمة الإسلامية.

٣. الوحدة الإسلامية واجبة شرعاً.

٤. هناك إرهاصات ومؤشرات عديدة على إمكانية استعادة الوحدة الإسلامية بأشكال متنوعة.

٥. العقبات والمعوقات أمام وحدة المسلمين كبيرة، لكنها غير مستحيلة وقابلة للحل والمعالجة.

٦. الاتحادات والمنظمات والهيئات التنسيقية الإسلامية قد تكون مساعدة وممهدة لمشاريع وحدوية واعدة في المستقبل.

المناهج المتبعة

تفترض أهداف هذا الموضوع وإشكالياته الاعتماد على المناهج العلمية التي تساعد على

توضيح الكثير من الأمور وتجيب على الكثير من التساؤلات، وبذلك فإن المنهج السردي التاريخي يعيـد تشكيل الصورة الواقعيـة للوحدة الإسلامية، وكذلك لا بد من الاعتماد على المنهج التحليلي للوصول إلى النتائج المرجوة.

الدراسات السابقة

١. محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، ٢٠١١

يعالج الكتاب قضية الوحدة في سياق تاريخي متحدثاً عن نشوء عوامل التفرقة بين المسلمين وظهور الفتن منذ العصر الهجري الأول. كما يشرح مصطلحات الشعوبية والعصبية. محدداً بعض المنطلقـات لاستعادة وحدة المسلمين ومنهـا إحياء اللغة العربية وتوحيد العالم الإسلامي بإنشاء جامعة إسلامية.

٢. أحمـد عبـد الهـادي شاهين: الوحـدة الإسلاميـة (فريضة وضـرورة) ، يعالـج المؤلف الموضـوع داعيـاً للوحدة محذراً من الفرقـة، مستعرضاً أسباب الاختلاف واتبـاع الأهواء، ذاكراً قضيـة الصراع على الحكم والدعوة للقومية والوطنيـة. متحدثاً على آثار الوحدة والتحديات التي تقف في طريقها ثم يذكر الكاتب الطريق إلى ذلك. مختتماً باستعراض الوسائل التي تساعد على عودة الوحدة الإسلامية.

٣. حمد بن سعد حمـدان الغامدي: الوحدة الإسلامية، أسسها، ووسائل تحقيقها- الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، يتحدث الكاتب عن واقع الأمة الإسلامية واستغراقها في الخرافات والغلو ومحاربة الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية. ثم يتحدث عن أسباب واقع التفرق ذاكراً الغـزو العسكري والفكري. ثم يستعرض أسس الوحدة الإسلامية: وحدة الغاية، والعقيدة والقيادة والتشريـع. وأخيراً يتحدث عن وسائل تحقيق الوحدة، ومنهـا التعليم والإعلام والاقتصاد والعمل على الاكتفاء الذاتي وإيجاد المراكز العلمية.

وفـي موضوع الوحـدة الإسلامية العديد من الدراسات والمؤلفـات تعالج الجوانب المختلفة من هذا الموضوع في سبيل تكريس أهمية الوحدة الإسلامية وحتميتها.

خطة البحث

المقدمة

تمهيد

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم.

المطلب الأول: الوحدة والاتحاد في المعنى والمصطلح.

المطلب الثاني: مفهوم الأخوة الإسلامية الشرعي والاجتماعي.

المبحث الثاني: الوحدة الإسلامية - موجبات ووقائع.

المطلب الأول: صور من وحدة الأمة الإسلامية عبر العصور.
المطلب الثاني: موجبات الوحدة الإسلامية.
المبحث الثالث: الوحدة الإسلامية- الإيجابيات والسلبيات.
المطلب الأول: عوامل الفرقة والتشرذم في الأمة الإسلامية.
المطلب الثاني: طروحات ومشاريع التعاون والتنسيق الإسلامي.
المطلب الثالث: الحلم المستحيل في الوحدة الإسلامية.
الخلاصة
الملاحق
المكتبة
الفهرس

تمهيد

إن نمـوذج الوحـدة الإسلاميـة بأشكاله المختلفة الـذي تمظهر عبر العصـور، كان يجد له صدىً واستجابة في الأمة الإسلامية، وظل مفهوم الخلافة الإسلامية معبراً عنه في إطار شعارات وممارسـات الدولـة العثمانيـة التي صمدت فـي وجه المتغيـرات الدولية ردحاً مـن الزمن. وكان المسلمـون في العالـم يقرون برمزية وحدة الأمـة من خلال هذه الخلافـة العثمانية، بالرغم من تهالكهـا وانحسار تأثيرهـا المباشر على المسلمين. ولما تخلى الأتراك عن الخلافة أصيب العالم الإسلامـي بالصدمـة، لكن واقع الحال أفضى إلـى الإذعان لما قد وصلت إليـه الأمة من تشرذم وفرقـة وتنازع، سيمـا وأن القوى العظمى المنتصرة فـي الحرب العالمية الأولـى، وفي مقدمتهم بريطانيا كانت تعمل بجهد لإلغاء الخلافة، وتكريس تفتيت العالم الإسلامي وتقسيمه.

إن العالم الإسلامي الذي يضم أكثر من خمسين دولة ويمتد من أقصى الشرق إلى المغرب الإسلامـي، يعتبر في المفهوم الإسلامي (أمـة واحدة) ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[1]. تعبـد رباً واحداً، وتتبع نبياً واحـداً، ولديها كتاب واحد.. وتتجه إلى قبلة واحدة، فهـي فـي المفهـوم الاصطلاحي كيانٌ واحـدٌ. وفي حال الرجوع إلـى أصول الديـن، فالمسلم أخو المسلـم مهمـا كان عرقه وأصله ولونه ووطنه، فهو أخو المسلم (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه)[2]. وليس في ذلك خيار. وبذلك يكون المسلم الصيني والأندونيسي والفليبيني والماليزي والهنـدي والباكستاني والأفغانـي والتركستاني والروسي والأذربيجانـي والطاجكستاني والإيراني والتركـي والعربـي والبربـري... إلـخ. أخوة لهم حقـوق وعليهم واجبـات تجمعهم أشـد الروابط وأوثقها. فلماذا لا يلتزم هؤلاء بدينهم ويتوحدون بينهم بشكل فعال وليس بشكل نظري أو وهمي؟

إلـى ذلـك فقد جرى استبعاد إمكانيـة الوحدة الإسلامية إلى حـد الاستحالة في ظل تنامي المفاهيـم العنصرية والقومية وهيمنة القوى العلمانية على مقدرات الشعوب الإسلامية، يساندها إصرار دولي من القوى الكبرى على محاربة المارد الإسلامي بكل الوسائل، مع العمل الدؤوب على شيطنـة الرؤية الإسلامية ووصمهـا بالإرهاب وهكذا يعيش العالم الإسلامـي سلسلة من الأزمات والصعوبـات والمشاكل تدفع بكل شعب مـن شعوبه لأن يفتش عن خلاصه ويتقوقع على ذاته ويلجأ إلـى جلاديـه لحمايته ورعايته والهيمنة علـى مقدراته. هذه الصورة السوداويـة للواقع الإسلامي تجعل من قبيل السخرية أو التهكم الحديث عن وحدة ما للعالم الإسلامي، ناهيك عن إعادة الروح لمفهوم (الخلافة) بأي شكل من الأشكال. على أن النظر بعمق في أوضاع العالم الإسلامي، يشير إلـى أهمية هذه الطروحـات وأحقيتها بل وفعاليتهـا. فالعودة إلى مفهوم الخلافـة برؤية عصرية متناسبـة، والعمل علـى ترتيب أوضاع العالم الإسلامي وفق منظـور العمل الوحدوي، هما الطريق

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون، آية ٥٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (١٩٩٣/٤) برقم ٣٥٨.

الوحيد لاستعادة القوة الإسلامية، والسبيل الأمثل لإعادة الاعتبار للحضارة الإسلامية المتجددة. وقد يكون ذلك هدفاً شبه مستحيل الآن في ظل الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين بما يعرف «بمحاربة الإرهاب». لكن استعادة قيم الإسلام حضارة وتطوراً تبدو حاجة ملحة وضرورية ومصيرية، ليس فقط بالنسبة للمسلمين، بل للعالم أجمع الذي يرزح تحت هيمنة قوى شيطانية تسير بالبشرية نحو الهلاك.

من هذا المنطلق كان هذا البحث حول مفهوم الوحدة الإسلامية ودور الخلافة في إعادة التوازن إلى مسيرة البشرية التي تئن تحت وطأة الظلم والقهر والفساد وهي سائرة لا محالة إلى الهلاك[1]. إذا لم يستعد المسلمون زمام المبادرة ويتوحدوا على الله ويبادروا إلى قيادة العالم نحو الإنسانية الحقة بالاستناد إلى قيم الإسلام الخالدة، فيصبح البشر كلهم أخوة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[2]. والوحدة الإسلامية هنا معنية بوحدة البشرية وإن كان فيها تباين واختلافات وتنوع وتوجهات، فالوحدة تعني بالدرجة الأولى صوابية الرؤية المصيرية للإنسان على هذه البسيطة بحيث يدرك ماهية دوره في الحياة الدنيا ويحمي نفسه من غوائل الشيطان وشروره، ويهتم أصلاً بمصالحه وحاجاته الضرورية لاستمراره وتعاقب أجياله. ولا يكون ذلك إلا في إطار وحدة المسار والمصير للإنسانية إنطلاقاً من توحيد الألوهية وتوحيد الناس على الله بالرغم من عوامل البعد الجغرافي والعوائق الطبيعية واختلاف الذهنيات وخلافه ﴿...لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ...﴾[3]. هذه الألفة التي تنطلق من مجتمع الإسلام الواحد الموحد لتشمل العالم بأكمله، ولكن العالم لن يتوحد على الله وعلى مصالحه إلا بوحدة المسلمين أولاً وقيام العالم الإسلامي الموحد على المحجة البيضاء (القرآن والسنة) وفق تجربة الخلافة الراشدة.

المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم

المطلب الأول: الوحدة والاتحاد...في المعنى والمصطلح

والوحده لغوياً كما ورد في معجم المعاني الجامع: من وَحِدَ أو وَحَدَ، جمع وحدات مصدر وحَدَ، أما الإتحاد من مصدر اتحد، إجتماع الأشياء أو امتزجها واتحادي لجمع من الوحدات. لجأ الإنسان إلى التفتيش عن غيره ليعيش معه منذ وجد على هذه الأرض، فهو مع غيره يشكل تجمعاً.. وحدة بين أفراده يتقوون ببعضهم البعض، ويجمعون قواهم لمواجهة الأخطار وأعباء الحياة[4].

---

(١) راجع أمين معلوف، اختلال العالم، دار الفارابي، بيروت، ص٧٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية ١٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنفال، آية ٦٣.

(٤) موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت، باريس١٩٨٦، ص٢٤.

ورأى الإنسان حاجته إلى غيره لبناء مجتمعه وقريته وبلدته ومن ثم دولته... وإمبراطوريته وأمته. وتدفع الحاجة والضرورة المجتمعات البشرية للتحالف والتوحد لاكتساب القوة والمنعة وتبادل المنافع والمصالح. والوحدة كمصطلح له مستويات عدة، بين التعاون والتنسيق، إلى الاندماج والتماهي. وقد سعت الأمم والشعوب إلى التوحد بالتحالف السلمي أو حتى بالحرب والقوة. والمصطلح العربي المعبر عنه بلفظ «وحدة»، له مدلول عميق في التراث الإسلامي، بل هو مرتكز الدين الذي عرف «بالتوحيد»، فالواحد هي صفة من صفات الله، ومن هذا المنطلق هناك وحدة لا متناهية في الرؤية الإسلامية للحياة تعبر عنها وحدة الجسد ذو الرأس الواحد وللأعضاء المتضامنة والمتماسكة «مثل المؤمن كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[1]. وهذه النظرة الوحدوية ليست طوعية، بل هي قسرية ضرورية لحياة الجسد. وبذلك تكون الأمة المتمثلة بالجسد متوحدة وفق الضرورة والحاجة ومرتبطة بوحدانية المعتقد والسلوك. إلى ذلك فالإمبراطوريات التي نشأت في التاريخ كانت نتيجة دوافع وحدوية محلية بين قواها الحية، ثم مع غيرها من خلال السيطرة والهيمنة والدمج والاستيلاء. وكان هم هذه الشعوب الحفاظ على وحدتها التي كانت مصدر قوتها مع العمل على إضافات داعمة لها. لذلك نرى أن أقوى الإمبراطوريات في العالم تلك التي تمكنت من توحيد قواها الذاتية ثم عملت على ضم وتوحيد قوى أخرى معها. فالمصريون الفراعنة عملوا على توحيد وادي النيل الأعلى والأسفل ليبسطوا نفوذهم خارج بلادهم[2]، وكذلك إمبراطوريات بلاد ما بين النهرين فعلت ذلك. حتى المدن الفينيقية على ساحل المتوسط الشرقي سعت لتوحيد قواها[3]... كذلك فعل الإسكندر المقدوني في بلاده، وبعده الرومان ... إلخ. فكان هاجس الوحدة هو الذي يعطي القدرة على بسط السيطرة والنفوذ. والعكس صحيح، فعندما تنتفي عوامل الوحدة، يؤدي الأمر إلى التشرذم والفرقة ثم الانحلال. والأمثال التي تتحدث عن الوحدة والاتحاد وأهميتها كثيرة والتراث الشعبي العالمي يروي الكثير من القصص والنوادر عن ضرورة الوحدة والاتحاد لتحقيق القوة والمنعة والمنفعة. والمثل العربي الشهير «في الاتحاد قوة». وللمصطلح أبعاد أخلاقية واجتماعية تستند على تجارب الحضارات والشعوب وتراثها الفكري. وفي هذا الشأن يجب أن تتوفر معطيات ومبررات تدفع باتجاه السعي للوحدة والتعاون والالتفاف حول قضايا ومواضيع وشعارات مشتركة، ومن ذلك بروز المفاهيم والمثل العليا كالوحدة في الدين والقومية والوطنية والمناطقية...إلخ. وتذكر لنا حوادث التاريخ كيف أن الأمم والشعوب والجماعات البشرية لجأت إلى توحيد قواها وجمع قدراتها لمواجهة الأخطار أو للقيام بالسيطرة والهيمنة والاستيلاء على القوى الأخرى وضمها لها. والأمثلة على ذلك كثيرة عبر مختلف حقبات التاريخ.

---

(١) حديث شريف، أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم (١٩٩٩/٤)، رقم ٢٥٨٦.

(٢) محمود أمهز، تاريخ الشرق الأدنى، مكاتب كريديه إخوان، بيروت، ص١٠٤.

(٣) رينيه ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، مصر، ١٩٥٩، ص١٥.

كمـا أن مفهوم الوحدة يتسع للعديد من المعاني، فهناك الوحدة الاندماجية الكلية الشاملة، وهناك الوحدة الرمزية المعنوية، ...إلخ. وقد عرضت عدة مشاريع ورؤى لمفهوم الوحدة الإسلامية والخلافـة بصيغ مبتكـرة متناسبة مع تطورات العصـر، ومنها طروحات عبـد الرحمن الكواكبي والأميـر شكيب أرسلان والعلاّمة عبد الرزاق السنهوري والشيخ محمد أبو زهرة وغيرهم[1]. وفي معظـم الطروحات مراعاة لواقـع الأمة المرير وانقسامهـا إلى دول وكيانـات والمعارضة الدولية القويـة لقيام الخلافـة الإسلامية الموحدة وبالتالي وضع الحلول الملائمـة لمسيرة إعادة اللحمة بيـن أجزاء الأمة بالطـرق المناسبة مع الواقع. وينطبق معنى كلمـة «الاتحاد» على نظرية الوحدة فـي المصطلح المتوازن الـذي يعبر عن معنى واحد يفيد الجمع والتلاقـي والتعاون والامتزاج في وحـدة لا تتجزأ وفق التفاهم والتناغـم والانسجام، فالوحدة والاتحاد فـي إطار خاص متميز ينم عن تفاهـم جماعي وفهم مشترك للقضايا ومختلف الشـؤون والشجون، ويكون ذلك لحاجة ذاتية وضـرورة حياتيـة ونظرة موحدة للكـون والحياة تعتمد سياقـات نظمية متناسبة مـع هذه النظرة الواحـدة. وتكاد تجمع المعاجـم اللغوية على توصيف الاتحاد وتعطي أمثلـة على ذلك بالاتحادات العالميـة المعروفـة (الاتحاد السوفييتي، الاتحـاد الأوروبي، الاتحاد الإفريقـي... إلخ). والاتحاد بهذا المعنى توحيد القوى والقدرات وصهر الشعوب ودمج المجتمعات للحصول على أكبر قدر من القـوة بالجمـع والتأليف والاعتصام حتى إن بعض الوحدات (جمـع وحدة) أو الاتحادات قد تضم متناقضـات ومختلفـات ومتعارضات لكن الرغبة في الاستفادة من عوامـل القوة الجمعية وتجميع عناصـر القـوة يدفع نحو تجاوز الكثير من العقبات والموانع، وكلمـا كانت عوامل الوحدة والاتحاد متوفرة ومتناسبة كلما كان ذلك أكثر رسوخاً وثباتاً وصلابة.

المطلب الثاني: مفهوم الأخوة الإسلامية الشرعي والاجتماعي

عرف الإسلام بأنه دين التوحيد، وهو جاء ليدحض الشرك، ويوحد الخالق، ثم ليوحد الناس علـى الخالق: (الواحـد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[2]. ومن هـذا المنطلـق جاء توحيـد الجزيرة العربية، ثم توحيـد بقية الشعوب تحت رايـة الإسلام. ودخل الناسـ ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجًا﴾[3]. وأتاح مفهوم الأخوة الإسلامية العابـر للمكان والجنس واللون، المجـال لنشـوء قوة إسلامية متراصة متوحدة على الله «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى»[4]. وكان مفهوم الأخوة معبراً للوصول إلى الوحدة والتعاون، وجرى تطبيق ذلك

(١) موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة الريان ودار البيارق، ٢٠٠٧، ص٣٥٢.

(٢) وهو ما جاء في سورة الصمد، القرآن الكريم.

(٣) القرآن الكريم، سورة النصر.

(٤) رواه البيهقي، شعب الإيمان، برقم (٤٧٧٤)، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، قطر ،٢٠٠٨.

فـي المراحـل الأولى للدعوة فـي مكة المكرمة، ثم فـي الهجرة إلى المدينة المنـورة حيث المثال الأوفى في عملية التآخي بين المهاجرين والأنصار التي أسست لوحدة مجتمع المدينة نواة الدولة الإسلاميـة الواعـدة[١]. حتـى في مجتمع المدينـة طبقت مفاهيـم الأخوة والوحدة بيـن مكوناته المتنافسـة لتتوحد مع بعضها وغيرها مـن القوى الإسلامية الوافدة والناشئة. وكان توحيد العرب بقبائلهم وعصبياتهم هدفاً استراتيجياً لقائد الأمة الإسلامية ونبيها. فبدأ من محيطه الضيق في مكـة ثم في المدينة وانطلق إلى مختلف القبائل والمناطق فـي الجزيرة العربية. لذلك فإن وحدة الأمـة الإسلامية مرتبطة بشكل أو بآخر بوحدة العـرب باعتبارهم أهل ومهبط الدعوة الإسلامية ووقودهـا وذخيرتها الأولى وعنوان عزتها وكرامتها. ويكفي العـرب فخراً أن رسول الإسلام منهم وكتاب الله الأعظم بلغتهم ونخبة رواد الإسلام وقادتهم منهم[٢].

إن وحـدة المسلميـن فـي الإسلام واجـب شرعي وأمـر محسوم يقـوم على رؤيـة الإسلام الوحدويـة للمؤمنين في العالم. فالمسلمون أمة واحـدة، والمؤمنون أخوة، وهم موحدون كالجسد الواحـد، وقد طبق هـذا المفهوم في حياة النبـي محمد صلى الله عليه وسلم، وسـار عليه خلفاؤه الأولـون واستمر في ظل الخلافة الأموية ومـن بعدها الخلافة العباسية... واستمرار هذا المفهوم هو الجامع لشعوب العالم التي دخلت في دين الإسلام. في حين حافظت رمزية الخلافة على شعار هذه الوحدة بالرغم مما انتابها أحياناً من ضعف وتراخٍ وتراجع سلطاتها وتقليص ممتلكاتها.

وهكـذا أكد الشرع الإسلامي علـى الأخوة الإسلامية بين البشر المنتسبين إليه بغض النظر عـن أصولهـم ولغاتهـم وألوانهم. وكانت هـذه الأخوة تستوجـب وحدة شاملة ضمـن إطار الوطن الإسلامـي الـذي يحفظ الأمة ويطبق حكم الله وفق أحكامه وشرعـه الحنيف. لذلك قامت «دولة» الإسـلام وفق نظام الخلافة، ومن ثم تطـورت وتوسعت وتعاظمت لتصبح هذه الخلافة الإسلامية إمبراطوريـة عالمية كانت الأقوى فـي عصرها الأول[٣]. ففي المفهوم الشرعـي، المسلمون أخوة موحدون لهم حقوق وعليهم واجبات فصلها الشرع وطبقها المسلمون عملياً في حياتهم.

وهكـذا تشكل ضمن مفهوم الأخـوة الإسلامية مجتمعٌ إسلاميٌ متناسـقٌ وفق منظور الشرع الإسلامي حيث لا طبقات ولا فوارق ولا تمييز (إلا بالتقوى). وسرعان ما تطورت نظم هذا المجتمع الإسلامـي من دولة المدينة المنـورة، إلى دولة الخلافة بعد رحيل القائـد المؤسس الذي كان قد وضـع استراتيجية التوسع والخروج من حدود جزيرة العـرب، واستكمل خلفاؤه مسيرته، وتضخم بذلك المجتمع الإسلامي ليصبح مجموعـة مجتمعات مترابطة مترامية الأطراف، واكتسبت هذه

(١) محمد حميد الله، الوثائق السياسية في عهد النبي والخلافة الراشدة، القاهرة، ١٩٤١، ص٢.

(٢) عبد الغني شاكر آل البعاج، أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص١٣٠.

(٣) في عهد بني أمية بلغت الخلافة الإسلامية أكبر اتساع لها من حيث كانت ممتلكاتها تمتد من أقصى الشرق في بلاد ما وراء النهر نحو الهند والصين إلى أقصى الغرب عند بلاد الأندلس. انظر الملحق.

المجتمعات الإسلامية الكثير من العادات والتقاليد والتراث المتبادل بين الشعوب والأمصار. وكان هذا المجتمع الإسلامي الكبير محكوماً بالشرع الإسلامي وملتزماً بسياسة دولة الخلافة الإسلامية ضمن هيكلية تنظيمية تبلورت مع الزمن. وكان انتفاء الفوارق القومية وامتزاج الأعراق من أهم إنجازات الوحدة الإسلامية بالرغم من محاولات شعوبية للبروز من حين لآخر. وبذلك برزت سمات حضارة إسلامية متنورة دائمة الاستمرار والتطور سادت بعد فترة قياسية على كل الحضارات المعروفة آنذاك. وحملت مشعل التقدم والرقي للإنسانية جمعاء.

إن إلقاء نظرة سريعة على التاريخ الإسلامي في مختلف مراحله وعصوره ليثبت بالدليل القاطع مدى ضرورة أن يكون للأمة (الإسلامية) ولاء واحد ورأس واحد لتدب الحياة في الجسد وأجهزته وأوصاله... وعنده ينطبق التاريخ مع الحكم الشرعي الذي يوجب على المؤمنين وحدة الولاء[1]. وفي أول وثيقة دستورية لأول دولة إسلامية، وهي دولة المدينة المنورة، جاء في البند الأول: المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من دون الناس[2]. مصداقاً لقوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[3].

المبحث الثاني: الوحدة الإسلامية- موجبات ووقائع

المطلب الأول: صور من وحدة الأمة الإسلامية عبر العصور

انطلاقاً من مفهوم وحدة المسلمين في أمة واحدة موحدة، تطورت النماذج التطبيقية لهذه الوحدة، انطلاقاً من جماعة المسلمين في مكة المكرمة، إلى دولة المدينة المنورة المصغرة بمؤسساتها الأولية، ثم إلى الدولة القوية الممتدة في الجزيرة العربية وخارجها. هذه الدولة الواحدة كانت تحكم بواسطة جهاز حكم منظم على رأسه الخليفة. وحينما ضمت بلاد العراق وبلاد الشام إلى ممتلكات الدولة الإسلامية الناشئة دخل في دين الإسلام ودولته العديد من الشعوب والأعراق والقوميات. وهكذا في القرن الإسلامي الهجري الأول، حتى بلغت الخلافة الأموية أوج اتساعها وضمت أراض شاسعة ولامست جيوشها حدود أوروبا وحدود الصين. وكانت الأمة كلها موحدة في دولة واحدة، تحت ظل حكم رجل واحد هو خليفة المسلمين في دمشق، والمواطن في هذه الدولة بغض النظر عن لونه وجنسه ولغته، هو مسلم له كامل الحقوق وعليه واجبات، حتى غير المسلمين من الأديان الأخرى، تمتعوا بكامل حرياتهم ومكتسباتهم الاجتماعية (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)[4].

وفي كلا التنظيمين: السياسي الإداري، والمعنوي الفكري، كانت وحدة المسلمين قاعدة

(١) زكريا المصري، الولاء والإفتاء بين الحقائق والشبهات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص٥٥.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر، ١٩٨٠، ص٤.

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، آية٩٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٥٦.

راسخــة لا تقبــل التشكيك، حتى مع توسع رقعة الدولة وانتشــار المسلمين خارج الجزيرة العربية، وانضمــام الشعــوب والدول والكيانات إلى جســم الدولة الإسلامية الفتيــة. وكان يتولى الحكم في الأقاليــم المفتوحــة ولاة معينــون من قبل خليفــة المسلمين الحاكــم الأعلى للدولــة. وكان خراج الدولــة وأموال الزكاة تنقل إلى العاصمة في المدينة المنــورة في العهد الراشدي. علماً أن الدولة الإسلاميــة كانت تضم في العهد الراشدي غرباً مصر وبرقة[١] وشمالاً بلاد الشام[٢] وشرقا بلاد العــراق وما يليهــا[٣]. وطبقت النظم الإسلامية على الدولة الإسلاميــة الفتية المتعاظمة. وعندما تولــى الأمويــون الحكم استمروا فــي سياسة التوسع والفتوحــات ووصلت جيوشهم إلــى أوروبا[٤]، وإلــى بلاد ما وراء النهرفي الشرق، كما اقتحــم المسلمون البحر وسيطروا على العديد من الجزر فــي البحر الأبيض المتوسط. والجديــر ذكره أن محاولات التمرد والانفصــال استعرت في العهد الأمــوي مهــددة وحدة الأمــة الإسلامية وكيان الدولة، لذلــك لجأ الأمويون إلى قمــع هذه الثورات والحــركات الانفصالية بشدة[٥]. ولما تسلــم العباسيون القيادة عملوا على بسط نفوذهم وتوحيد أرضــ الخلافــة، ومن ثم الاستمرار في توسيــع رقعتها، وقد عرفت الحمــلات العسكرية العباسية بالصوائــف والشواتي[٦]. وبلغــت الخلافة الإسلامية ذروة مجدها وعظمتهــا في العصر العباسي الأول، وكانت الأموال ترد إلى العاصمة بغداد من أقاصي الدنيا. ويختصر الخليفة العباسي وحدة الأمــة بتلك الجملــة الشهيرة، حين حل الجفــاف ومرت غيمة عابرة فوقه «سيــري وأمطري حيث شئــت فــإن خراجك سيعود إلــي». وبالرغم من فتــرات عصيبة كانت تمر على أمــة الإسلام، فإن مفهوم وحدة الأمة كان لا يتزعزع، ولقد نشأت دول عديدة وإمارات وممالك في أطراف المعمورة، لكــن ذلــك كان لا يؤثــر على نظرة المسلميــن الموحدة لأمتهــم، سيما مع وجــود منصب الخليفة الــذي استمــر سحابة العصور العباسيــة المختلفة حتى في أحلك ظروفهــا. وعندما نشأت خلافة إسلاميــة ثانيــة في مصر، ظهر الأمــر وكأنه نزاع مذهبي ليس إلا. وكذلــك الأمر بالنسبة لإعلان الخلافــة الأمويــة في بــلاد الأندلس. وكان التنافس بين هــذه المواقع الإسلاميــة السياسية تحت شعــار إعادة وحدة الأمــة الإسلامية والدفاع عنها في مواجهة الخطــر الخارجي. وعندما تصدى المماليك للاجتياح المغولي كان شعارهم الدفاع عن حياض الأمة، وكذلك هب الأيوبيون لاستعادة الأراضي الإسلامية المغتصبة من قبل الصليبيين، وتوحدت الأمة الإسلامية خلفهم، إلى العصر

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربي، مصر ١٩٠١، ج٤، ص٥٩.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٦٧، ص٣١٨.

(٣) المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج١، ص١٢٥- ١٢٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص٤٤٣-٤٤٤.

(٥) ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن أبي المكارم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧، ج٣، ص ٢١٤- ٢١٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤١.

الحديث حيث استلم الأتراك العثمانيون دفة الحكم وأعادوا منصب الخلافة وعملوا على توحيد الأمة وإستعادة عظمتها حتى دكت جيوشهم المظفرة عواصم أوروبا. وتلاقى المسلمون على تأكيد الولاء لهذه الخلافة العثمانية في مشارق الأرض ومغاربها. وقد ارتكز مفهوم الوحدة الإسلامية على رباط الأخوة العقيدية[١]. التي أنتجت قواعد الروابط السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية أيضاً. فالأصل في النظام السياسي الإسلامي وحدة السلطة القيادية للأمة تضم كل المناطق والبلاد التي يحكمها المسلمون. وحتى في حال قيام كيانات إسلامية متعددة، كانت رمزية الخلافة قادرة على ثبات فكرة الأمة الواحدة بدستورها القرآني وتطبيقاتها العملية للإسلام كأسلوب حياة الجماهير التي ارتضته لها ديناً ونظاماً وحكماً.

المطلب الثاني: موجبات الوحدة الإسلامية

جمع الإسلام قبائل العرب تحت لوائه، وألف بين قلوبهم، وقضى على العصبية الجاهلية... وبذلك قامت في بلاد العرب حكومة مركزية محترمة عزيزة الجانب... حتى دانت قبائل العرب وأصبحت ترى في الإسلام رمز وحدتها وشعار مجدها[٢]. ويقول سيرتوماس أرنولد نقلاً عن فون كريمر: «وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد[٣]. وإن هذه الدولة الموحدة تطور فيها نظام الحكم فبدأ نظاماً شورياً في عهد الخلفاء الراشدين حيث كان يتولى الحكم فيه خلفاء تم اختيارهم بالبيعة الحرة ثم تحولت الدولة إلى نظام وراثي في عهد الأمويين والعباسيين ثم العثمانيين، إلا أن جميع هذه الدول حافظت على مبدأ الأمة الإسلامية على أساس أن تمثلها دولة موحدة عظمى تميزت باتساع رقعتها وعلو شأنها في ميدان الحضارة وفي مجالات العلم والثقافة حتى أصبحت أعظم دولة في العالم خلال عصور الإسلام الزاهرة[٤]. وما دامت الوحدة الإسلامية مبدأ أساسياً من مبادىء شريعتهم فإن الخلافة يجب أن تكون هدفاً يسعى المسلمون لتحقيقه وأن يواصلوا كفاحهم من أجله[٥]. والإسلام لا بد له من حكومة تقيمه وتحميه، فالحكومة الإسلامية ضرورة من أجل حفظ العقيدة... وإقامة أنظمة الإسلام السياسية والاقتصادية والثقافية ضرورة لتكون كلمة الله هي العليا[٦]. وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة، فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن. والوحدة السياسية شاملة في ظل أمير المؤمنين، وتحت لواء الخلافة في العاصمة. ولم

(١) انظر في معنى الأخوة الإسلامية، صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، ١٢٨/٣، رقم ٢٤٤٢، حديث. (المسلم أخو المسلم).

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، مصر، ج١، ص١٩٤.

(٣) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٥، ص٥٣.

(٤) عبد الرزاق السنهوري، فقه الخلافة وتطوره لتصبح عصبة أمم إسلامية، ص٧.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) سعيد حوى، الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ص٣٣١.

يحـل دونهـا أن الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية في الجيوش وبيوت المال وفي تصرفات الولاة، إذ أن الجميـع يعملـون بعقيدة واحـدة وبتوجيه عام متحد[١]. وهو ما يعـرف اليوم باللامركزية أو الكونفدرالية.

إن مـن أهم موجبات الوحدة للأمة الإسلاميـة وأكثرها ضرورة، الالتزام بأمر الله ورسوله فـي الحفاظ على الأخوة الإسلامية ووحدة الجسـد الإسلامي، وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع حين قال: «تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»[٢]. فالمسلمون موحدون حتماً تحت هذا الشعار الأساسي الموجب الملزم، وبذلك فالمسلمون ملزمون بالوحدة بينهم من منطلقات أصولية منها:

١. الأمـر الإلهي الصـارم الذي أعلنته آيات القـرآن الكريـم فـي سـور عـديدة وأهـمها: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٣].

٢. التوجيه النبوي الذي برز في الأحاديث النبوية الشريفة العديدة.

٣. السيـرة النبويـة الشريفـة التي كانت تعبر عـن الأساليب التطبيقيـة للإسلام من خلال النمـوذج النبوي في كل مناحي الحياة، فظهرت الوحـدة الإسلامية جليّة في حياة الفرد المسلم وفي مجتمعه المحلي والإقليمي وحتى العالمي. وحادثة التآخي بين المهاجرين والأنصار تعتبر خير دليل على ذلك[٤].

٤. التجربـة التاريخيـة لحيـاة الأمـم التي توضـح أهمية الوحـدة بين القـوى المختلفة في المجتمعـات البشريـة والتي توفر القوة والمنعة والسؤدد، وذلـك من خلال تجارب الأمم التي توحدت وكان لذلك أثر كبير في تحقيق عزتها ومناعتها.

٥. توحـد القوى العالميـة والشعوب والأمم، مما يدفع بالقيـام بالمثل لضمان الحصول على عوامل القوة وشد العصب الديني والقومي في سبيل شحذ الهمم وتحقيق المكاسب.

وعلـى ذلك فالمسلمون مضطرون لتوحيد قواهم، بل هـم ملزمون دينياً بذلك، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٥]، ويكونون آثمين إذا ما تفرقـوا واختلفوا، ذلك من صميم عقيدتهم ورؤيتهم لدورهـم في هذه الحياة. وفي الحقيقة، فإن رسالتهـم كمسلميـن في هذه الحياة الدنيا، أن يوحدوا البشريـة على الله من خلال دعوتهم لدين

(١) مصطفى الشقيري، الخلافة الإسلامية- شرق وغروب، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٠٦، ص٢٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم حديث رقم (٣٢٣)، أبوعبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق الفريق العلمي لموسوعة جامع السنة النبوية، طبع دار الميمان السعودية.

(٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٤) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ص١٤٢.

(٥) القرآن الكريم، سورة الحجرات، آية ١٠.

التوحيد لتكون الأرض برمتها دولة واحدة تحكم بشرع الله وتتآخى فيها الشعوب وتتوحد على الله. لذلك فإن المسلمين مدعوون لنشر رسالة الإسلام التوحيدية وإيصال دين الله لكل البشرية، قال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1]. علها تتوحد في ظل شرع الله القائم على العدل والمساواة والحرية وحفظ حقوق الإنسان في الحياة الكريمة في هذه الدنيا على طريق الفوز بالحياة الأبدية في الآخرة.

قد تبدو هذه الطروحات خيالية، ولكنها ليست مستحيلة، وفي التاريخ قامت بعض الإمبراطوريات بتوحيد معظم بلاد العالم نسبياً وفرضت نفوذها ووحدت شعوبها قسراً. ثم إن التاريخ نفسه أثبت بالدليل العملي أن الأمة الإسلامية كلما كانت موحدة كلما كانت مرهوبة الجانب قوية متماسكة قادرة على حماية شعوبها والذود عن حياض دينها، وكلما كانت متفرقة مشرذمة كلما كانت عرضة للاستباحة والغزو والاحتلال. ولقد كانت الشعوب الإسلامية من مختلف الأعراق والجنسيات تدين بالولاء للخليفة الذي كان يشكل رمز وحدة الأمة، حتى في الحالات التي تستقل بعض المناطق والبلاد عن دولة الخلافة سياسياً. وبقي هاجس وحدة الأمة الإسلامية في أدبيات الفكر الإسلامي يعيش في وجدان الشعوب الإسلامية عبر مراحل التاريخ. ذلك لأن مفهوم الأمة الإسلامية استحال إلى عالم إسلامي مترامي الأطراف يجمع شتات شعوب متعددة الأعراق والأجناس والثقافات. هذا العالم الذي فقد تماسكه السياسي مع الزمن أفرز كيانات سياسية متعددة تتسم بالصبغة الإسلامية كجزء من العالم الإسلامي وتفتقد للرؤية الموحدة للدولة الإسلامية المتماسكة المترامية الأطراف التي تفترض أن مجالها الجغرافي يجمع أقصى الشرق، من ماليزيا وأندونيسيا، إلى أقصى الغرب في بلاد المغرب وموريتانيا على شواطىء الأطلسي. والإطار العام السياسي لهكذا دولة تلاشى عملياً في العصر الوسيط. وعندما قام السلطان المملوكي بإعادة إحياء الخلافة بعد إنهيارها على يد المغول[2]، كان المسلمون يدركون أهمية إعادة اللحمة للأمة الإسلامية عن طريق إحياء رمزية وحدة الخلافة. وقد أدرك العثمانيون الأتراك أهمية وحدة العالم الإسلامي، فكرسوا نظام الخلافة[3]. وأعلنوا سياستهم الإسلامية القائمة على توحيد العالم الإسلامي وإحياء روح الأمة الواحدة وتصدوا لمحاولات شرذمة المسلمين وحاولوا جاهدين استنباط حلول في سبيل إعادة اللحمة للأمة الإسلامية، ومن ذلك مشروع الجامعة الإسلامية[4]. على طريق تسهيل اللقاء بين الشعوب الإسلامية للنظر في كيفية توحيد صفوفهم وإعادة وحدتهم الشاملة. لأن الأمة الإسلامية هي الأصل الجامع لكل المسلمين منذ تكوين المجتمع الإسلامي الأول، في عهد النبوة والخلافة الراشدة، واستمر شعور المسلمين

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) محمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص١١٢.

(٣) محمد فريد، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، ص١٩٤.

(٤) موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض، ص١١٩.

بأنهـم أمة واحدة، سواء جمعتهم الخلافة كنظام سياسي موحد للأمة، أم فرقتهم الدول لكيانات سياسيـة مفرقة لهـا، وتواصل إحساس المسلميـن بهويتهم الجمعية المتميـزة كأمه رغم موجات الغـزو الخارجـي ودوامات الصراع الداخلـي، وإحساس المسلمين بهويتهـم كأمة واحدة، متميزة مغروس في الوجدان الشعبي الإسلامي، وموثق في التراث الثقافي الإسلامي، ولو أتيحت الفرصة للشعـوب الإسلامية للتعبير عن رأيها في الوحدة الإسلامية، لتبيـن جنوح الأكثرية الساحقة لهذه الوحـدة بالشكل الـذي يتيح لجميع هـذه الشعوب المساهمة فـي إقامة الشـرع الإسلامي وإحياء الحضـارة الإسلاميـة العظيمة. ومـا مشهد الحشـود البشرية الهائلـة في موسم الحـج إلى مكة المكرمـة إلا تعبيراً رمزياً عن توحـد الشعوب والأعراق والقوميات بمختلف الأشكال والألوان تحت رايـة التوحيـد الإسلامية. وإن سعي دول العالم إلى التوحد فـي صيغ روابط وتحالفات واتحادات، لهـو خير دليل حاسم لضرورة إقامة الوحدة الإسلامية بشكل من الأشكال وهي تصبح فرض عين في هذا العصر في ظل العولمة وفساد الحضارة الغربية واتجاه العالم نحو الانحلال والظلم.

المبحث الثالث: الوحدة الإسلامية- الإيجابيات والسلبيات

المطلب الأول: عوامل الفرقة والتشرذم في الأمة الإسلامية

إذا كان الاختـلاف سنـةً من سنن الحيـاة، فإن الخلاف بـاب من أبواب الشقـاق والنزاع، والبشر فطروا على التدافع والتباين. وما كان المسلمون بدعا عن بقية البشر، وكان التباين بالآراء والمواقف واضحاً منذ المراحل الأولى للدعوة[1]. لكن وحدة القيادة وعصمة النبوة، كانتا الحاسم فـي اتخاذ القرارات النهائية في شؤون الدين والدنيا. ثم كان لمبدأ الشورى دور في بلورة التوافق المناسب حول مختلف القضايا التي تبدو خلافية وتحتمل آراءً متعددة. وكانت قضية الخلافة إثر ارتفـاع الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى أول امتحان للوحـدة الإسلامية[2]. ثم تتالت الحوادث التي كانت تكشف المزيد من الاختلافات في الاجتهادات حول مختلف القضايا التي واجهت الدولة الإسلاميـة الناشئة سياسيا واجتماعيا وفكريا. على أن العهد الراشدي الذي تلا المرحلة النبوية، ظل ضمن الإطار المنضبط لاختلاف الآراء ووجهات النظر، مع بروز معارضة بناءة بقيت محكومة بالالتـزام بالقيادة الإسلامية الحاكمة رغم كل الظروف. لكن استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفـان فتـح الباب على مصراعيه لجملة من الصراعات والنزاعـات شكلت التصدعات الأولى في جسـم الأمة الإسلاميـة وكان لها تداعيات استمـرت بالاتساع مع الزمـن. وإن كان الجهد الأموي قـد تمكـن من إعلان عام للجماعة[3] بـدا فيه المسلمون موحدين، فـإن مجريات الأحداث خلال الخلافتين الأموية والعباسية أنتجت انشقاقات وتصدعات خطيرة لأسباب دينية وسياسية وقومية

(١) القرآن الكريم، سورة هود، آية ١١٩.

(٢) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، المرجع السابق، ص٣٩٠.

(٣) المسعودي، أبي حسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر المكتبة العصرية، صبرا، لبنان، ج٢، ص٣٦.

وغير ذلك. على أن أخطر هذه الانشقاقات وأكثرها تأثيرًا، الخلاف السني الشيعي، الذي تمظهر في أشكال ومواقف متعددة وصلت إلى حد القتال والصراع المسلح، بدءًا من اغتيال الخليفة الثالث ومعركة الجمل وانتهاء بسلسلة من الثورات على امتداد العالم الإسلامي. إلى ذلك فإن مظاهر الخلافات السياسية والقومية لعبت دورًا في تصدع الجبهة الإسلامية الواحدة وأهم هذه المظاهر وجود ثلاث خلافات(جمع خلافة) إسلامية في كل من بغداد والقاهرة وقرطبة[١]. وكان ذلك مدعاة للغزو الأجنبي لبلاد المسلمين في فترات متعددة من التاريخ الوسيط، كالغزو الصليبي والغزو المغولي. على كل حال فإن أسباب الفرقة والتشرذم كانت تتنوع حسب مراحل الزمن وفترات التاريخ. لكنها في مجملها تمحورت حول المواضيع التالية:

- **الخلاف المذهبي:** وأخطره الخلاف السني الشيعي، وما تلاه من بروز الفرق المذهبية المختلفة في كل منهما. وقد اتخذ هذا الخلاف شكلاً عقائدياً متطورا زاد من حدة الخلافات والتباينات قد أدى إلى تشكل معارضة توسعت مع الوقت لتتخذ شكل مذهب عقب استشهاد الإمام الحسين بن علي[٢]. وهكذا ظهر المذهب الشيعي الذي هو نفسه أنتج عدة مذاهب. إلى جانب توسع دائرة التباينات في الاجتهادات الدينية التي تمخضت عن ظهور المذاهب والفرق الدينية المتعددة في السنة وفي الشيعة أيضا.

- **الخلاف السياسي:** الذي تغلف بالمذاهب الدينية أحيانا، وأحيانا أخرى بصورة التغلب والسيطرة والقهر. فالصراع على الحكم وتولي السلطة كان من عوامل النزاع المتفاقمة في جسد الأمة الواحدة. وقد أعلنت العديد من الشعوب الاستقلال السياسي وشكلت الدول المتعددة تحت راية الإسلام، كإمارات ودول مستقلة وكان للمغامرين من القادة دور في قيام هذه الدول التي كانت تعترف بسيادة الخلافة الإسلامية العامة، أو تستقل عنها نهائيا. وأشهر هذه الخلافات السياسية قيام الخلافات الإسلامية الثلاث.

- **الخلاف القومي:** الذي كان تمظهر بما عرف بالشعوبية مع بدء رواج الدعوة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجا من مختلف الأعراق والقوميات[٣]. هذه الشعوب التي كانت تختزن تراثا عريقا في الحضارة والتطور. لذلك فان سيادة العنصر العربي في الإطار الإسلامي، كان يشكل نوعا من النفور أو التذمر لدى بعض القوميات والشعوب. سيما في مرحلة الخلافة الأموية التي حافظت على سيادة العنصر العربي وميزته عن غيره من الشعوب والقوميات[٤].

---

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٠.

(٣) محمد جاسم المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ٢٠١٦، ص٧٧.

(٤) خالد مصطفى مرعب، نقابة الأشراف في ولاية طرابلس الشام من خلال الوثائق العثمانية، بحث للجامعة اللبنانية، ٢٠٢٠، ص١٢٦.

لذلـك فـإن مشاعر الانتماء القومي كانت تتمظهر في العديد مـن مراحل التاريخ الإسلامي. حتى أفضت في بعض الحالات إلى قيام دول إسلامية على أساس قومي. إلى التاريخ الحديث والمعاصر حيث طغت الدولة القومية والوطنية وصارت هي الرائجة حاليا.

- التدخـل الخارجي: الذي كان علـى شكل غزو و تآمر بهدف توهين الأمة الإسلامية ونشر الخلافـات بين المسلميـن، ومنذ انطلاق الفتوحات الإسلامية بـات العنصر الخارجي يلعب دورًا فـي السياسة الإسلامية. سيمـا وأن الجيوش الإسلامية كانت تدق صروح الإمبراطوريات العظمى الحاكمـة. ومـن ثم باتت الخلافـة الإسلامية من أقـوى الدول في العالم خـلال العصر الوسيط، حتـى العصر الحديث مع السلطنـة العثمانية التي تمكنت من اجتياح أوروبـا وفرض قوة الخلافة الإسلاميـة على العالم[1]. وكان أخطر مظاهر التدخـل الخارجي الحملات الصليبية التي قادتها أوروبا على بلاد المسلمين[2]. والغزو المغولي الذي اجتاح الخلافة الإسلامية ودمرها.

- الغزو الفكري: منذ انطلاق البعثة الإسلامية تعرضت لمحاولات التحريف والتلاعب عبر موجـات من الغزو الفكري الخارجي حاولت إيجاد موطىء قدم لها في الساحة الإسلامية. وكانت محـاولات ابن سبأ مـن أوائل ظواهر تشويه العقيدة الإسلامية عبر نقـل بعض المعتقدات الوثنية إلـى روح الديـن الإسلامي[3]. ومـن ثم عبر سحابـه التاريخ الإسلامي كانت محـاولات من بعض المغرضيـن والمتآمرين لتشويه صفاء العقيدة الإسلامية عبـر نظريات وفلسفات غريبة عن دين التوحيد، وبذلك تشكلت فرق ومذاهب وجماعات تحت مسميات متعددة كان لها تأثير في بذر روح الشقـاق وبعث الإشكاليات في شؤون الدين والدنيا. لكن التأثير الأخطر على الأمة الإسلامية كان مع ما عرف بعصر النهضة في أوروبا وبروز الفلسفات الإلحادية والنظريات العلمانية وانتقال هذه الأفـكار إلـى بلاد المسلمين حتى تمكنت هذه المعتقدات مـن السيطرة على بلاد المسلمين وأدت إلى إبعاد الدين عن الحياة وهيمنت القومية والوطنية التي مزقت وحدة المسلمين وشرذمتهم في كيانات ممسوخة عرفت بالأوطان.

وقـد ساهمـت عوامل أخرى فـي زيادة عوامل الخـلاف والاختلاف وبث النعـرات واختلاق الأزمـات، إلى حد قيام الحروب والقتال بين المسلمين أنفسهم. وقلما تجد بلاداً إسلامية لا تخلو مـن التناحـر والتنافر. ففي غياب الحكـم الإسلامي الرشيـد. تتأجج مشاعر العـداوة والبغضاء لأتفه الأسباب. وهكذا مع تضافر العوامل الخارجية والداخلية وغياب الرؤية الوحدوية الإسلامية وتغييب الشريعة الإسلامية. تكون أسباب الخلاف والاختلاف مفتوحة على كل الاحتمالات.

---

(١) خالد مصطفى مرعب، العرب في التاريخ الحديث والمعاصر أمة وشعوباً ودولاً، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٤، ص١٨٩.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج٤، ص٢٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٥٩.

المطلب الثاني: طروحات ومشاريع التعاون والتنسيق الإسلامي

كان المسلمـون ينظـرون إلى أمتهم كوحدة متكاملـة دينياً وسياسيـاً واقتصادياً واجتماعيا وثقافياً...إلـخ. وذلـك من منطلق عقدي أصولي يستند إلى تـراث تاريخي عبر القرون. سيما وأن هـذه الأمة كانت مستهدفة كوحـدة جامعة. من هنا لم يتخل المسلمون عن وحدتهم إلا في ظروف استثنائيـة قاهرة خارجة عـن إرادتهم. فمنذ العهد الراشدي ترسخ مفهوم الوحدة الشاملة للأمة رغـم الصعوبـات والمؤامرات والصراعات. وعندمـا تصدى الأمويون لقيـادة الأمة تمسكوا بهذا المفهـوم ودافعوا عنه بشراسـة وقمعوا بقوة حركات التمرد والانفصـال والاستقلال. وكذلك فعل العباسيـون الذين تمسكوا بوحدة الخلافة والأمة بصرامة، خصوصـا في العصر العباسي الأول. وعبـر التاريخ الوسيـط ومع التنازع والشقـاق كانت الشعـوب الإسلامية تتطلع إلـى الأمة كوحدة راسخـة بالرغم من حالات الانفصال والاستقلال السياسي لبعض البلاد الإسلامية. ولما تصدى المماليك للغزو الخارجي الصليبي والمغولي عملوا على إعادة منصب الخلافة[1]، وتكريس وحدة الأمة التي شابها بعض الاضطراب والفوضى. وبذلك أكملوا جهود السلاجقة والزنكيين والأيوبيين التـي أثمـرت إعادة وحدة الأمة بعـد حين. ثم جاء العثمانيـون ليعلنوا قيادتهـم للأمة الإسلامية وإحيائهـم نظام الخلافة[2]. وقد تعلق المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بهذه القوة العثمانية الصاعـدة وارتبطوا بها معنوياً وروحياً. وعندمـا تراجعت سطوة العثمانيين كانت محاولات حثيثة للإبقـاء على روابط الأخوة الإسلامية عبر طروحات كان أبرزها مشروع الجامعة الإسلامية الذي طرحـه الشيخ الإمام جمال الديـن الأفغاني وتبناه السلطان عبد الحميـد الثاني العثماني بصفته خليفـة المسلميـن[3]. وقد وجد هـذا السلطان أن هـذا المشروع الإسلامي يشـكل خير علاج لما تعانيـه دولـة الخلافة من أمراض وعلل، فسارع إلى الدعـوة إليها وجند لها كل مـا في وسعه من طاقـات وإمكانـات اعتبرها تحقق له البديـل المناسب فضلا عن الأثر الطيـب والتجاوب السريع الـذي يمكـن أن يصادفه لدى عامة المسلمين من رعايا الدولـة العثمانية، وقد تمثل حلا مستمدا من العقيدة الإسلامية السمحة فضلا عن تحقق الأهداف التالية:

١. التفاف الشعوب الإسلامية حول الخلافة العثمانية.

٢. توطيد الصلة بين مركز الخلافة وسائر الولايات.

٣. تقديم بديل إسلامي للحلول الدستورية والإصلاحية المطروحة.

٤. التلويـح للخطـر المحـدق بالوحـدة الإسلاميـة وتعبئة سائر القـوى للجهاد ضـد الدول

(١) راجع محمد بن أياس، بدائع الزهور، المرجع السابق.

(٢) مصطفى الشقيري، الخلافة، المرجع السابق، ص٤٨.

(٣) موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض، المرجع السابق، ص١١٩.

الطامعة، لاسيما بعد معاهده لندن ١٨٤٠ [١].

أعـادت هذه التحركات الوحدوية الإسلامية الروح لإمكانية استعادة وحدة الأمة الإسلامية. لكـن سرعـان ما تـم القضاء على هـذا الأمل إثر انقـلاب القوميين الأتراك مـن جمعية الاتحاد والترقـي[٢]. ثم هزيمة الدولـة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وفرض معاهدة القضاء على الخلافـة الإسلاميـة علـى المسلمين[٣]. من خـلال تقسيم بلادهـم إلى مستعمـرات في كيانات متعـددة. وبالرغم من أن حـركات التحرر والثورة ضد الاستعمار الأجنبـي كانت بدوافع إسلامية دينية إلا أن المكر الاستعماري تمكن من شرذمة بلاد المسلمين ومزق وحدتهم وبرع في اصطناع دول وممالـك وإمـارات عاجزة، ومنها ما ترفع شعارات إيديولوجيـه تتنافى وروح الإسلام وشرعه كالديمقراطية الليبرالية الغربية الرأسمالية أو الشيوعية الملحدة الشرقية...الخ.

علـى كل حال قضت الهجمة الاستعماريـة الغربية والشرقية على ما تبقى من عوامل الوحدة الإسلاميـة. وجـاء إعلان إلغاء الخلافـة الإسلامية للإجهاز على فكرة الوحـدة الإسلامية، حتى الرمزيـة منها. وتحت عيـن المستعمرين أقيمت التجمعات الشكلية لأطـر وحدوية تنسيقية قومية وجهويـة، مثل الجامعة العربية التـي أنشأت عام ١٩٤٠ بتوجيه من انجلترا[٤]، ثم ظهرت تحالفات تحـت مسميات متعـددة، كاتحـاد المغرب العربـي، ومجلس التعـاون الخليجي... إلـى محاولات اتحاديـة لبعض الدول العربية باءت كلهـا بالفشل. وكان أكبر هذه المحـاولات التنسيقية تأسيس منظمة مؤتمر الدول الإسلامية الذي جمع تقريبا معظم الدول الإسلامية[٥]. وكانت طموحات هذه المنظمة وأهدافها متواضعة وشكلية، سرعان ما تحولت إلى ما سمي (منظمة التعاون الإسلامي). وبالإجمـال كانت كل هذه المحاولات بعيدة عن تحقيق الهـدف الأساسي للأمة الإسلامية، والذي يتمثـل بإعـادة إحياء المرجعية الإسلاميـة الواحدة الموحدة، والمعبر عنهـا بنظام الخلافة، ولو بصيغة عصرية متطورة كونفدرالية تجمع كل الشعوب والقوميات المسلمة في إطار تنظيمي فاعل ومؤثـر من منطلق إعادة تطبيـق شرع الله وحدة للمسلمين. على أن منظمة التعاون الإسلامي كان لهـا بعض الإيجابيات من الناحية الثقافيـة والعلمية دون أن تتمكن من توحيـد الرؤى حول العمل الإسلامي الموحد كقوة عالمية إستراتيجية قادرة على أن تعيد مجد الحضارة الإسلامية التليد.

أدرك أعـداء الإسلام أن وحدة المسلميـن سوف تعيد قوة الأمة الإسلامية وتنشر حضارتها الزاهـرة التي كانت حضارة العالم بأكمله خـلال العصر الوسيط. ذلك لأن مقومات عوامل القوة

(١) مصطفى الشقيري، الخلافة الإسلامية، شروق وغروب، المرجع السابق، ص٩١.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة د. محمد حرب، دار القلم، بيروت، ص٦٥.

(٣) موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض، المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٤) خالد مصطفى مرعب، العرب في التاريخ الحديث، المرجع السابق، ص٢٧٠.

(٥) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تقريب محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، م١، بيروت،١٩٦٧، ص١٩

كانـت متوفرة في بـلاد المسلمين، بـل إن هذه البلاد هي الأغنـى والأكثر إنتاجا للمـوارد الأولية والمعـادن الثمينـة ومنابع الطاقـة والمواقـع الاستراتيجية...الخ. كما أن هذه الأمـة تختزن تراثاً حضاريـاً قيميـاً غزيراً يستنـد إلى دين التوحيـد المنقذ للبشريـة من الضـلال والشرك والظلم والفساد. ومع انطلاق الصحوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، انتعشت الآمال بإمكانيـة إعـادة المشروع الإسلامـي وظهرت العديد مـن الحركات والمنظمـات الإسلامية التي تعمـل على إعادة طرح البديـل الإسلامي، كما بـرزت الطروحات الإسلاميـة الحديثة والمتطورة لنشـر الوعي بأهمية إعادة الوحدة للأمة الإسلامية وطرح الحلول الإسلامية لمشكلات الحضارة العالميـة المتأزمـة[1]. ومع التجـاوب الذي بـدا يتوسع في المجتمعـات الإسلاميـة نسبيا. كانت الهجمـة الخطيـرة على البديـل الإسلامي من خلال شيطنتـه وتحريفه وتحويله إلـى عدو عالمي للبشريـة، ولذلك اخترعوا له أسماء متعـددة صارت هاجسا وهدفا استراتيجيا للعالم بأكمله، من أمثال: الإرهاب، والأصولية والتطـرف الإسلامي...إلخ. وبذلك ازدادت صعوبة العمل على البديل الإسلامي ناهيك عن فكرة الوحدة بأي شكل من الأشكال.

إن أخطر ما يواجه الوحدة الإسلامية بأي صيغة كانت، استبعاد الإسلام عن حياة المسلمين أو جعلـه مجـرد شعائر وطقوس ومظاهر شكلية. وبالتالـي شيطنة ما سمي بالإسـلام السياسي. والجهـود والمؤامرات ما زالت منصبةً لفصل الإسلام عن حياة المسلمين. والصراع محتدم بين الفكـر الإسلامي الجامع وبيـن الإيديولوجيات والنظم والقوانين المسمـاة مدنية أو علمانية التي فرضت على الشعوب الإسلامية وبلاد المسلمين، وللمرء أن يتصور إذا ما اجتمعت فتوحدت القوى الإسلاميـة المختلفة ابتداء من العرب ومرورًا بكل من الفرس والترك والأفغان والأفارقة الأمازيغ والباكستانييـن والهنـد والصينييـن والأندونيسييـن والماليزيين...إلـخ. هـذه الشعـوب العريقة وإمكاناتهـا الهائلـة، إذا ما قيض لها أن تتوحـد بشكل من الأشكال تحت رؤيـة الإسلام، فستكون البشرية بخير وتعود الإنسانية إلى جوهرها الحقيقي. ويسعد العالم بقيام الحق والعدل والمساواة والمحبـة والتآخي بين بني البشر جميعـا دون تفريق وعنصرية وطغيان. فالعالم اليوم بحاجة إلى الإسـلام بشكل مصيري في ظل انهيار الحضارة الغربية المعولمـة والمصير الأسود الذي ينتظر العالم.

المطلب الثالث: الحلم المستحيل في الوحدة الإسلامية

قـد يكون موضوعنا ضربا من الخيال، ومن رابـع المستحيلات.. بل قد نتهم بالغفلة، وعدم الموضوعيـة إلى حـد العيش في الأحلام. لكن الأحـلام قد تتحقق، وكم من الأحـلام المستحيلة تحققت وكانت مجرد أضغاث أحلام. والأمثلة كثيرة من تاريخ العالم، ومن تاريخ الأمة الإسلامية خصوصـا، وسأكتفـي بمثل واحـد كان معبرا عن إمكانية حصـول الأحـلام المستحيلة في تاريخ

(١) راجع إزوالد إشبنجلر، نهاية الغرب، ترجمة أحمد الشيباني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤، ص٥٧٤.

المسلميـن. فقد اجتاح المغول العالم من الشـرق والغرب ولم تقف في وجههم أيه قوة في العالم، وسحقـوا عاصمة الخلافـة الإسلامية العباسية في بغـداد، وأفنيت الأسـرة الحاكمة ولم يتبق إلا مصر والمغرب الإسلامي أمام الزحف المغولي الساحق[1]. وطبعا صار حلم وحدة الأمة الإسلامية ضرباً من الخيـال. وكان الشعـور السائد لدى المسلمين فـي مختلف بلدانهـم أن الأمة قد زالت مـن الوجود وبلغت القلـوب الحناجر. ولكن الحلم عاد للظهور وصـار حقيقة واقعة عندما تصدى المماليك للمغول ومن ثم أخرجوهم من بلاد المسلمين وأعادوا الخلافة الإسلامية وتوحدت الأمة مـن جديد[2]. ومن يعود لمجريات أحـداث تلك المرحلة يدرك أن قضية وحده المسلمين كانت... مجـرد حلم مستحيل. وفي واقع الأمر أن تاريخ المسلمين كان عبارة عن إصرار وجهاد دائبين في محـاولات مستمرة لتوحيد الأمـة الإسلامية وإبقاء العالم الإسلامي مترابطـا بشكل من الأشكال وبصيغة من الصيغ. لكن الناظر إلى هذه الفسيفساء البشرية والجغرافية والثقافية المعقدة لهذا العالم الإسلامي، يجد صعوبة في الاقتناع بإمكانية إعادة الوحدة للمسلمين في إطار تنظيمي ما. ذلك لأن هيمنة الأفكار القومية والمشاعر الوطنية والمصالح الذاتية وتضارب المنافع، إلى جانب الإصـرار العالمـي (الشرقي والغربي) علـى محاربة قيام وحدة إسلامية بـأي شكل من الأشكال، حتـى في إطـار التنسيق والتعاون، لأن في ذلـك انهيار النظام العالمي الحالـي القائم على تحكم الدول العظمى بقيمها الفاسـدة الظالمة المنحلة، وإعادة السلام والعدل والحق والفضيلة والقيم الروحيـة للبشريـة. فقد بات موضوع إعادة إحيـاء الأمة الإسلامية بحضارتهـا وقيمها أمراً ملحاً وغايـة فـي الأهمية. والبشرية مهددة بالانهيار والفناء إذا لم تتـدارك الأمر. والمسلمون مدعوون للـم شعثهم وجمع كلمتهم والاعتصام بدينهم، حتى يتمكنوا من إنقاذ العالم من مصيره المحتوم إذا مـا استمـر في السير الحثيـث إلى الهاوية. وجوهر الأمر إقامة شـرع الله في عباده، والالتزام بغاية وجود الإنسان من هذه الحياة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3]. وفي هذه العبادة تتحقق سعادة الإنسان وصلاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

علـى أن المسلميـن في هـذا العصـر يعيشون حالاً مـن النكـران والضياع وفقـدان الهوية الإسلاميـة الجامعـة وتشظي الولاءات واستعار الخلافات. حتى ليبدو هـذا العالم الإسلامي بؤرة للصراعـات والنزاعات ومرتعاً للفساد والظلم ومنبعـاً للفقر والتخلف. فهو مصنف (عالم ثالث) وبذلـك يبدو الحلـم مستحيلا... فكيف للضعيـف، الفقير، المنهك أن يصلح حـال العالم فيما لا يستطيـع أن يصلح نفسه؟ ومن هنا وجـه الخطورة في الأمر. ولكن الأمل بالله تعالى أن يبدل حال الأمـة عندمـا نستحق ذلك، كما حدث في الكثير من مراحـل التاريخ. وليس ذلك على الله بعزيز. وفاتحـة الأمـر بـإرادة التغيير مـبادرة المسلمين لأخـذ دورهم في قـيادة البشرية نحو الخلاص

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ج٣، ص١٥٤.

(٢) حسن إيراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٥٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة الذاريات، آية ٥٦.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. وهذا التغيير يتطلب ما يلي:

– أولاً: عـودة المسلميـن إلـى دينهم، عودة صادقـة من خلال تحكيم الشـرع الإسلامي في جميع مفاصل حياة المسلمين بالاستناد إلى الكتاب والسنة والفقه الإسلامي المتجدد المستوعب لتطورات العصر ولمستجدات الأمور في كافة شؤون الحياة.

– ثانيـاً: نبذ الخلافـات والتباينات القومية والمذهبية والارتقـاء فوقها إلى ما يجمع ويوحد المسلمين على مبدأ: نتعاون فيما نتفق عليه، وينصح بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه.

– ثالثـاً: توحيـد المرجعيـة الإسلامية الجامعة من خـلال إطار تنظيمـي مناسب يشمل كل القوى الفاعلة والقيادات وأصحاب الرأي وأهل الحل والعقد من أبناء الأمة على امتداد الجغرافيا الإسلامية.

– رابعـاً: إقامة الدولة الإسلاميـة الموحدة وفق أسلوب الشورى والبيعـة الشرعية وانتخاب خليفـة للمسلمين يترأس الدولة ويحكـم مؤسساتها وفق الشرع الإسلامـي الحنيف. ويكون حائزا الأهلية العلمية والاجتماعية والسياسية.

– خامساً: وضع خطة استراتيجية إصلاحية شاملة لكافة مناحي الحياة لنقل المسلمين إلى حالة المجتمع الواحد المتضامن والمتكافل اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً...الخ.

– سادسـاً: دعوة أمم العالم ودوله إلى التفاهـم والتعاون ومد جسور الصداقة والتلاقي لما فيه مصلحة البشرية واحترام حقوق الإنسان وتحقيق أمانيه في الحياة الكريمة.

– سابعـاً: إعادة الاعتبـار لعقيدة أساسية في الدعـوة الإسلامية تقوم علـى أساس (الولاء والبـراء). وهي ركيزة الوحدة الإسلامية، حيث دعـا الله تعالى لموالاة ومحبة المؤمنين، ومعاداة وبغض الكافريـن وان كانوا من أقرب الناس إليهـم، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

وهكـذا وبقدر ما يبدو الأمر مستحيلاً وحلمـا وضربا من الخيال في ظل الواقع المرير الذي تعيشـه الأمـة الإسلامية حاليا، فـإن إمكانية استعادة نوع مـن صيغ التواصـل المثمر تحت شعار (الأخـوة الإسلامية) وإن بشكل نظري مبدئيا، تبدو متوفرة، خاصة في ظل انتشار الوعي الجمعي للشعوب الإسلامية بأهمية هذا التآخي ولو في أدنى صوره الرمزية. بمعنى أنه لم يجر التخلي عن روحية» الأمة» الواحدة كشعار ديني معنوي من خلال أصول لا يمكن تجاوزها، فالقرآن واحد يوحد الجميـع، والرسـول صلى الله عليه وسلم واحـد قدوة الجميع، والله الـذي خلقهما واحد لا شريك لـه. وهذه مقومـات رئيسة للوحدة الإسلامية مـا زالت متوفرة وقادرة على الإبقـاء على شكل من

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد، آية ١١.

(٢) القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية ٢٢.

أشكال الأمة الواحدة، ولو نظريا على الأقل. ويعود للمسلمين شعوباً ودولاً أن تجد الطرق المناسبة لاستلهام هذه الأصول والعمل على تطبيقها عمليا في حياة الأمة الإسلامية فتستعيد وحدتها وقوتها وعزتها ومكانتها في هذا العالم. وفي التاريخ وعبر القرون منذ انبلاج فجر دعوة الإسلام، بقيت الأمة الإسلامية موحده بشكل من الأشكال مع الإبقاء على رمزية الخلافة الموحدة حتى في أصعب الظروف والأزمات. ومنذ العهد النبوي والمسلمون يتعرضون للغزو والتآمر. ولم تهدأ أوروبا الصليبية في محاولات القضاء على الأمة الإسلامية وإخضاعها. فكانت محاولات الغزو المستمرة عبر التاريخ الوسيط والتي توجت بما عرف» بالحروب الصليبية» ثم بالغزو الاستعماري في التاريخ الحديث. وكان في رأس أولويات هذا الغزو الاستعماري: القضاء على الوحدة الإسلامية وعلى شعارها المتمثل بالخلافة الإسلامية. ولقد تحقق لهم ذلك. وباتت الأمة الإسلامية ممزقة، مشرذمة متناحرة، والأخطر من ذلك، منكرة لهويتها وانتمائها ودينها. فاستبعد الإسلام عن حياه المسلمين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً... وبقي ثقافياً معنوياً نظرياً. وهكذا شنت الحرب على الإسلام من الخارج والداخل أيضا. مما أشاع جوا من اليأس والقنوط من إمكانية إقامة وحدة إسلامية ولو نظريا. لكن الناظر إلى تنامي بعض الدول الإسلامية وإمكانياتها المتعاظمة، قد يرى ملامح بروز (قوة إسلامية) ما على الساحة العالمية. كما فرضت بعض هذه الدول نفسها على القوى العالمية، مثل ماليزيا وتركيا وإيران وباكستان وسنغافورة...إلخ. لكن هذه الدول ما زالت بعيدة عن إقامة الحكم الإسلامي الرشيد كما يريده الله ورسوله. ولكنها على كل حال تستظل بالصبغة الإسلامية كشعار وانتماء نظري. ولم تتجرأ سوى دولتان إسلاميتان على محاولة تطبيق الشرع الإسلامي بشكل عملي، وهما إيران وأفغانستان، فيما تركيا وباكستان وموريتانيا في تجربة واحدة على طريق إمكانية تطبيق الإسلام في شعوبهم. فالنظم السياسية الحاكمة في الدولة المسلمة والموروثة من الحقبة الاستعمارية البغيضة هي التي تقوض عودة الإسلام للحكم والقيادة، وما زالت تعيش مأساة تجاربها الفاشلة المأخوذة عن الغرب والشرق، بأيديولوجيات ونظم وفلسفات ما أنزل الله بها من سلطان، وهي تحارب أي توجه إسلامي محلي فكيف بالوحدة الإسلامية.

الخلاصة

إذا كان انهيار الاتحاد السوفييتي حلما قد تحقق، وإذا كانت أوروبا المتناحرة عبر القرون قد توحدت... فلماذا حلم الوحدة الإسلامية سيكون مستحيلا؟؟ بالرغم من أن مقومات الوحدة الإسلامية متوافرة وتستند إلى أصول وقواعد متينة تمتلك عناصر القوة التي تحتاجها أية أمة في سبيل استعادة مكانتها ودورها الريادي الحضاري الغابر وتبدو الحاجة ماسة وضرورية، بل تكاد تكون مصيرية، لعودة الأمة الإسلامية لاستئناف دورها الرسالي في هذا العالم. فإذا كان العقلاء في هذا العالم وأهل العلم والحكمة والبصيرة، يدقون ناقوس الخطر ويحذرون من أن البشرية سائرة نحو الهلاك إذا ما استمرت في طريق هذه العولمة المتغولة المنفلتة من كل عقال. إذن،

دعونـا ننظر في أي حل لهذه المعضلات، ونرى أي إمكانية لاستعادة زمام المبادرة لطرح البدائل وتقديـم المقترحات الملائمة. ومن هنا يطرح الإسلام كحل من خـلال استعادة الأمة الإسلامية لدورهـا الريادي بعد توحيـد شعثها وإعادة وحدتها. وهـذه الوحدة ممكنة الوجـود بالاستناد إلى مؤشرات وتراث عريق ما زال راسخا في وجدان الشعوب الإسلامية عبر الجغرافيا الإسلامية التي تعرف بالعالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب. ذلك أن الأصل في الأمة الإسلامية الوحدة، وحدة الإلوهيـة، وحـدة العقيدة، وحدة التشريع، وحـدة النبوة، التي تستتبع وحـدة الأهداف والمصالح والمصير. وإن ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من فرقة وتشرذم وتناحر، هو الاستثناء والعرضي والشـاذ. حتى إن العالم ودولـه تتعامل مع المسلمين كفئة مميزة وشعـوب مخصوصة لها سماتها الخاصـة وطابعها المحـدد. وبالتالي تحمل هوية معينة هي (الإسلام). فـلا مناص من أن يلتقي المسلمـون مـع بعضهم بشكل أو بآخر، بأي شكل من الأشـكال وبأي صيغة من الصيغ. وإن لم يكن الاتحـاد الاندماجي الشامل متاحا حاليا، فإن صيـغ التعاون والتنسيق المتطورة قد تفي بالغرض، والتـي ستكـون خطوات على طريق الوحـدة الكاملة المنشودة. إذ لا بد من الوحـدة الكاملة للأمة الإسلاميـة فـي نهايـة الأمر، تجمعها قيـام دولة الإسلام التـي تحكم بنظام الخلافـة الإسلامية بصيغته الحديثـة بما يتوافق مع الرؤية الإسلامية المعاصرة للنظام السياسي الملائم والمناسب لمصلحـة الأمة. والمسلمون بشريعتهم الغـراء وبالفقه الإسلامي المتجدد، قادرون على استنباط النظم السياسية والإدارية والقيادية التي تساعدهم على حسن تنظيم شؤونهم في كل الأمور. لكن منطلق كل ذلك إرادة وعودة من جمهور المسلمين إلى دينهم، ويقظة الشعوب الإسلامية من رقادها ومطالبتها بتحكيم شرع الله في حياتها وعملها في سبيل وحدة الأمة وهذا الأمر منوط بالمسلمين، كل المسلمين عربهم وعجمهم. لان الله تعالى قال: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . فـإرادة التغيير بيـد المسلمين، ووحدتهم ومصيرهـم بأيديهم، وما عليهـم إلا المبادرة والعمل الدؤوب والصبر على الصعوبات، فالطريق طويل وشائك وفيه مخاطر وآلام وتضحيات. فهل ذلك ممكن..؟؟ فماذا لو اجتمع أهل الحل والعقد من المسلمين على مختلف مشاربهم وبلادهم، العلماء والقـادة وأهل الفكر والأئمة والزعماء، وتشاوروا وتدارسوا سبـل توحيد جهود الأمة بصيغ واقعية قابلـة للتطبيـق، من منطلق إرادة الاتفاق والتوافق على ما يجمع، واستبعاد ما يفرق. ومن ثم وضع خطـط استراتيجية وآليـات عمل تسمح بفتح آفاق التلاقي بين الشعـوب الإسلامية. على أن تكون الهويـة الإسلامية هي الهدف النهائي للمسلمين. هذه الهوية التي تعبر عن وحدة الأمة الإسلامية وكيانهـا الجامع الذي عرف بالعالم الإسلامي. هذا العالم الذي ولد في الجزيرة العربية في دولة المدينـة المنـورة برئاسـة قائدها النبـي صلى الله عليه وسلـم، ومن ثم خلفه قـادة حكموا تحت مسمى (الخلافة الإسلامية). التي استمرت تحكم المسلمين حتى الربع الأول من القرن العشرين الميـلادي. هذه الخلافة كانت تشكل رمـزاً لوحدة الأمة الإسلامية ومرجعاً للعالم الإسلامي حتى في حال تشرذمه وضياعه. ولقد كان هم العلماء المسلمين المصلحين عبر العصور الحفاظ على

سيـادة الأمـة الإسلامية وتحصينها من كل ما يهـدد تطورها واستقرارها. وفـي التاريخ الحديث يأتي كتاب عبد الرحمن الكواكبي الذي سماه (أم القرى) نسبة إلى مكة المكرمة عاصمة الإسلام ومهبـط الوحي الذي يطرح فيه رؤية استراتيجية لكيفية البدء بمعالجة هموم الأمة الإسلامية من منطلـق توحيدي جامع. وفـي البحث مقترحات وتصـورات مبتكره في سبيل إعـادة عزة الإسلام ووحدة المسلمين. وفي محاولات عديدة يطرح أهل الفكر والرأي الكثير من الطروحات التي تشدد علـى اعتبار الأمة الإسلامية جسماً واحداً في عالم متطور ومتنامي. والأهم والأكثر إلحاحاً إعادة طـرح قضية الوحدة الإسلاميـة كحاجة ضرورية، بل مصيرية في ظل مـا يحدث من تطورات في هـذا العالم، وسعي أمم الأرضـ إلى التوحد والتلاقي في تجمعات واتحـادات بغية امتلاك مناعة وقـوة تجعلها قادرة على حماية نفسها وفرض مصالحهـا وتحقيق أهدافها. فالمسلمون غرقوا في تشرذمهم واستسلموا لعصبياتهم إلى درجة أنهم نسوا هويتهم الحقيقية، بل أنكروها. لذلك، من المهم إعادة نشر الوعي وإبراز الحقيقة ودعوة المسلمين إلى استعادة هويتهم الحقيقية وانتمائهم الأصيـل إلـى أمة تشرفت بحمل راية القرآن ونشر دين التوحيـد وأقامت دولة الحق والعدل لقرون طويلـة. فالقضيـة ليست ثانويـة وهامشيـة.. القضية تتعلق بأمـر عقدي دينـي وبالتالي مصيري بالنسبة للأمة الإسلامية والعالم الإسلامي، وأيضاً بالنسبة للبشرية جمعاء. فالعالم اليوم بحاجة إلـى الأمـة الإسلامية لإنقاذه من واقعـه المؤلم ومستقبلـه المأساوي. لذلك لا بد مـن إثارة هذا الموضوع كأولوية قصوى، لأن في تحقيقه تحل معظم المشكلات التي يعاني منها المسلمون، ويبرز المجتمـع الإسلامي الموحد كنموذج حضـاري تقتدي به البشرية. لأنه المجتمـع الإنساني الحق، الـذي يحقق كرامة الإنسان ومصلحتـه وسعادته. ولأنه المجتمع المؤمن بـالله، القائم على الحق والعـدل والمسـاواة حيث لا ضرر ولا ضرار. وحيث الحرية الحقيقيـة المسؤولة والمنضبطة بشرع الله وحكمه. والأمر منوط بكل مسلم ملتزم بدينه مرتبط بربه، أن يعمل كل في محيطه وعلى قدر استطاعتـه، على توحيد الأمة والدعوة لإقامة دولة الإسـلام الجامعة الاتحادية على كامل التراب الإسلامـي،» لان المسلم أخـو المسلم». وبذلك يتحقق حلم الوحـدة الإسلامية ويصبح عندئذ... قابلاً للتطبيق.

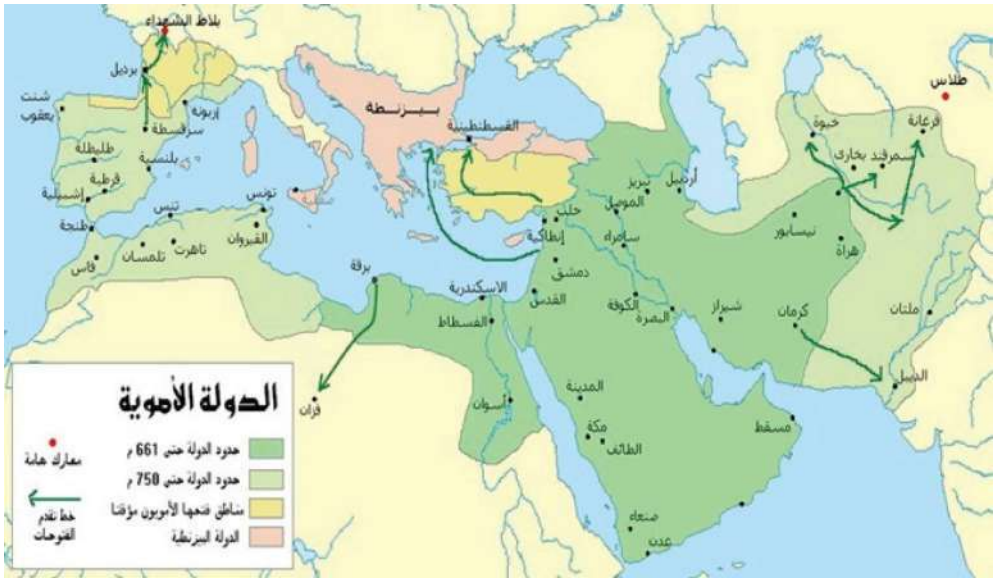

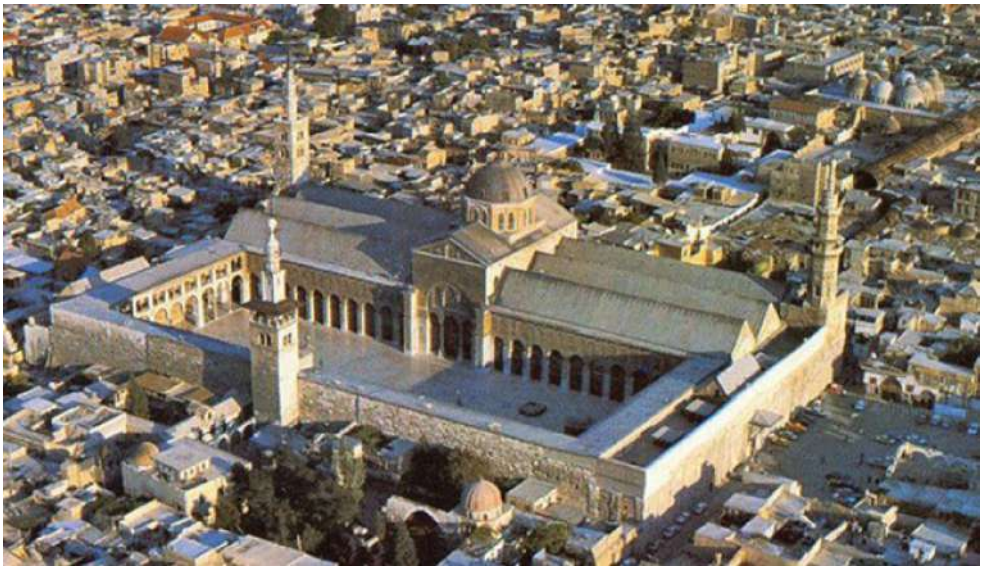

ملحق رقم ١: خريطة الخلافة الإسلامية الأموية
وصورة لمدينة دمشق يظهر فيها المسجد الأموي

ملحق رقم ٢: خريطة الخلافة الإسلامية العباسية وصورة لمدينة بغداد

ملحق رقم ٣: خريطة الخلافة الإسلامية العثمانية وصورة لمدينة إستانبول

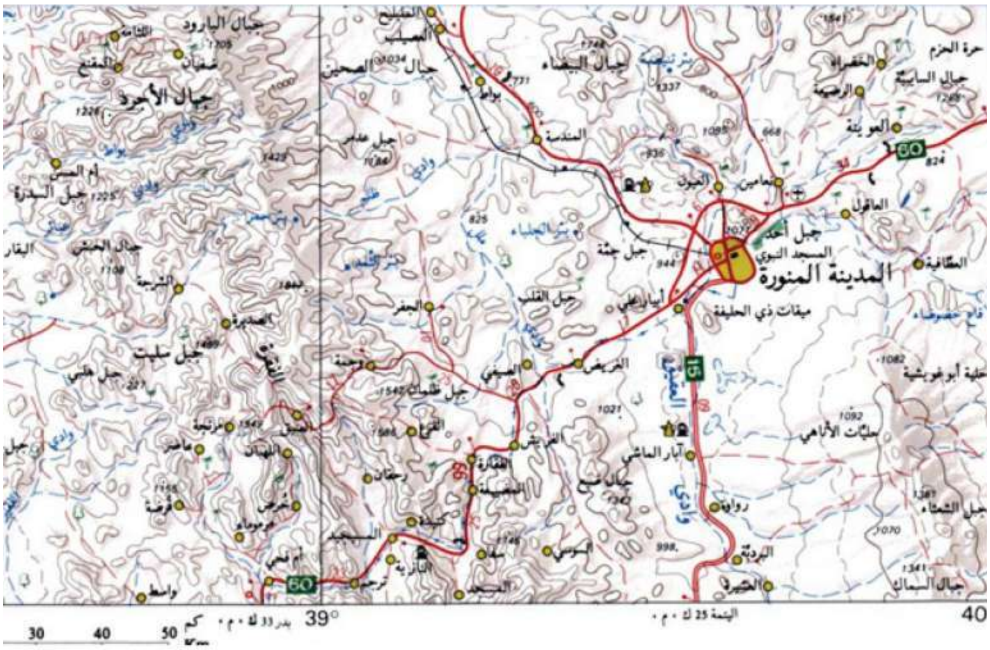

ملحق رقم ٤: خريطة وصورة للمدينة المنورة أول عاصمة للخلافة الإسلامية

مكتبة البحث:

- القرآن الكريم

١. آل البعـاج، عبد الغني شاكـر، أهمية النسب عند العرب قبل الإسلام وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان.

٢. ابـن الأثيـر، أبو الحسن عـز الدين علي بن أبـي المكارم الشيباني، الكامـل في التاريخ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧.

٣. أرنولـد، توماس الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٥.

٤. آدم، ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، م١، بيروت، ١٩٦٧.

٥. أمهز، محمود، تاريخ الشرق الأدنى، مكاتب كريديه إخوان، بيروت.

٦. البـلاذري، أبـو العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، شركـة طبع الكتب العربي، مصر ١٩٠١.

٧. بنـي المرجه، موفق، صحوة الرجـل المريض أو السلطان عبد الحميـد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة الريان ودار البيارق، ٢٠٠٧.

٨. البوطي، محمد سعيد رمضان فقه السيرة، دار الفكر، ١٩٨٠.

٩. حسـن، حسـن إبراهيم، تاريخ الإسـلام السياسـي والديني والثقافـي والاجتماعي، دار الجيل، مصر.

١٠. حميد الله، محمد، الوثائق السياسية في عهد النبي والخلافة الراشدة، القاهرة، ١٩٤١.

١١. الحنفـي، محمد بـن إياس، بوائـع الزهور في وقائـع الدهور، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، مصر.

١٢. حوى، سعيد، الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. ديسو، رينيه، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، مصر، ١٩٥٩.

١٤. هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٥. السنهوري، عبد الرزاق فقه الخلافة وتطوره لتصبح عصبة أمم إسلامية.

١٦. الشقيـري، مصطفـى الخلافة الإسلامية- شرق وغـروب، دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠٠٦.

١٧. الطبـري، أبـو جعفـر محمد بن جرير، تاريـخ الطبري، تاريخ الرسـل والملوك، تحقيق

محمد إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٦٧.

١٨. فريد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس.

١٩. كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، بيروت، باريس١٩٨٦ .

٢٠. مرعب، خالد مصطفى، نقابة الأشراف في ولاية طرابلس الشام من خلال الوثائق العثمانية، بحث للجامعة اللبنانية، ٢٠٢٠.

٢١. مرعب، خالد مصطفى، العرب في التاريخ الحديث والمعاصر أمة وشعوباً ودولاً، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٤.

٢٢. المسعودي، أبو حسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

٢٣. المصري، زكريا الولاء والإفتاء بين الحقائق والشبهات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢.

٢٤. المشهداني، محمد جاسم، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ٢٠١٦.

٢٥. المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

٢٦. معلوف، أمين، اختلال العالم، دار الفارابي، بيروت.

٢٧. مذكرات السلطان عبد الحميد، تقديم وترجمة د. محمد حرب، دار القلم، بيروت.